المستشرق البولوني أ. دي .ك. موتيلنسكي وكتاب أخبار الأيمة الرستميين لابن الصغير

The Polish orientalist A.de.C. Motylinski and the book Akhbar al-Rostemides Imams by Ibn Saghir

1– عبد الجليل ملاخ*، جامعة غرداية (الجزائر)

mellakh.abdeldjalil@univ-ghardaia.dz

تاريخ الاستلام: 2022/12/05 تاريخ القبول: 2022/12/22 تاريخ النشر: 2022/12/31

ملخص:

تعتبر المدرسة الإستشراقية البولونية واحدة من المدارس التي اهتمت بالتراث العربي عموما والمغاربي الإباضي على الخصوص، ويعد كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير المالكي أحد الكتب النادرة التي أرخت للدولة الرستمية في المغرب الأوسط، ولم يعرف الكتاب إلا بعد أن نشر محتواه من مخطوط مفقود كان في حوزة المستشرق البولوني دي كالاسنتي موتيلنسكي سنة 1905 في مؤتمر المستشرقين بالجزائر.

يعد كتاب ابن الصغير المصدر الوحيد الذي عاصر أواخر عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، ورغم اكتشاف نسخ له مؤخرا، فإن مقال موتيلنسكي يعد المرجع الهام للمخطوط ما دام النسخة الأصلية مفقودة

فمن يكون موتيلنسكي؟ ولماذا اهتمت المدرسة الاستشراقية البولونية بتراث الإباضية في المغرب؟ ومن يكون ابن الصغير؟ وفيما تتجلى قيمة كتابه؟

الكلمات المفتاحية: المدرسة البولونية.، استشراق.، موتيلنسكي.، ابن الصغير.، أخبار الأئمة.، إباضية.، المغرب الإسلامي، المغرب الأوسط.

*- المؤلف المرسل

Abstract:

The Polish Orientalist School is one of the schools that have been interested in the Arab heritage in general and the Ibadi Maghreb in particular. The book Akhbar al-Imams al-Rustamiyyin by Ibn al-Saghir al-Maliki is one of the rare books that dated the Rustumiya Dynasty in Middle Maghreb, and the book was known only after itscontent was published from a lost manuscript that was in the possession of the Polish orientalist De Calacente Motilinski in 1905 atthe Orientalist Conference in Algiers.

Ibn al-Saghir's book is considered the only reference that was experienced and contemporary of the Rustamanian Dynasty, and although copies have recently been discovered, Motilinski's essay is an important reference for the manuscript as long as the original copy is missing

Accordingly, who is Motilinski? Why did the Polish Orientalist school intererested in Maghrib's Ibadi Heritage? and who is Ibn al-Saghir's ? Whatis the value of his book?

Keywords: Bolognese School, Orientalism, Motilinski, Ibn al-Saghir's , Imams news , Ibadism

- **مقدمة**

أولى المستشرقون عناية بالغة بالتراث الإسلامي عموما، والعربي منه على الخصوص، وكانت لهم من وراء ذلك أغراض عدة، سواء كانت دينية تنصيرية، أو إحتلالية استعمارية، أو اقتصادية، أو علمية، وقد عكست عنايتهم بهذا التراث آثارا سلبية وأخرى إيجابية على حاضر الأمة العربية الإسلامية.

وتعتبر المدرسة الإستشراقية البولونية إذا ما قورنت بالمدارس الأوروبية الأخرى (الفرنسية، والألمانية، والإنجليزية) واحدة من المدارس التي غلب على مستشرقيها الطابع العلمي، وأنصفت المناطق التي درستها باعتبار أنها تركز على مصاو المنطقة التي تريد التعرف عليها.

والمستشرق البولوني موتيلنسكي واحد من المستشرقين المنصفين لتاريخ وثقافة بلاد المغرب، المتتبع لإنجازاته يمكنه أن يحكم عليه، وسأقتصر في مقالي هذا على المصدر الذي حققه وحفظ لنا نسخة منه، وهو مصدر "ذكر بعض الأخبار في الأئمة الرستميين منقول من ابن الصغير"

يعد المصدر الوحيد الذي عاصر وكتب عن الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، والتي تعد أول دويلة مستقلة قامت في المغرب الأوسط، ولا تزال المعلومات التي نشرها وحققها موتيلنسكي المصدر الوحيد عند المؤرخين والباحثين عن هذا المخطوط، ولم يعثر على النسخة الأصلية لحد كتابتي لهذا المقال، رغم أن موتيلنسكي قد ذكر بأنه رأى نسخة مخطوطة في خزائن سهل ميزاب مطلع القرن الماضي (ق20م)، وقد وجدت نسخ عن المخطوط وهي محفوظة في بعض خزائن مخطوطات ولاية غارداية الجزائرية.

من هو المستشرق البولوني موتيلنسكي؟ وما مميزات المدرسة الإستشراقية البولونية؟ وما أهم أهداف موتيلنسكي من دراسة التاريخ الإباضي عموما والرستمي منه على الخصوص؟ وما قيمة مصدر ابن الصغير الذي حفظ لنا موتيلنسكي محتواه في تاريخ المغرب الأوسط؟

1. المدرسة الإستشراقية البولونية:

قبل البدء في الترجمة للمستشرق موتيلنسكي، لا باس يتقديم لمحة مختصرة عن الصلات التي ربطت العالم الاسلامي ببولونيا (بولندا)، وعن المدرسة الاستشراقية البولونية.

تعود جذور الصلات بين بولونيا والعالم الإسلامي إلى فترة ما بين القرنين الثامن والعاشر الميلاديين، عندما وصلت القوافل التجارية العربية إلى البلدان السلافية كانت قد مرت ببولونيا، وفي الوقت نفسه زار بعض الحجيج البولونيين بيت المقدس، واحتكوا بشعوب العالم الإسلامي، ولعل أول كتاب بولوني صنف عن العالم الإسلامي كان من تأليف "ردزيفيل" في القرن 16م، وقد رحب ملوك بولونيا بالمسلمين ومنحوهم حرية العبادة وبناء المساجد، فترجم القرآن الكريم للبولونية وفسر، وانتعشت اللغة العربية كثيرا، وقد عرف البولونيون باهتمامهم كثيرا بحركة الترجمة للغات الشرقية من تركية وفارسية وعربية وغيرها، حتى استغلوا في الدولة العثمانية وفي مصر والنمسا، وفرنسا خاصة إذا علمنا أن تاريخ بولونيا كان مضطربا وكثير الحروب كتقسيمها عام 1755م بين النمسا وبروسيا وروسيا، وفي الحربين العالميتين، وقد أخرت هذه الحروب إنشاء مدرسة بولونية مستقلة تهتم بتاريخ ولغات ودراسات المشرق الإسلامي، ومن أهم مراكز الاهتمام باللغات الشرقية نجد كليات اللاهوت في الجامعة الكاثوليكية بكراكوفيا، فيلنو (ق18م)، فرصوفيا، لفوف، بولوك (ق19م)، ثم في القرن 20م أنشأ كرزيجوزفسكي مركزا للدراسات

الشرقية في فرصوفيا، وفي جامعة لفوف كرسي لفقه لغات الشرق الإسلامي 1922 الذي أشرف عليه سموجوزيفسكي، و من بين أوائل المهتمين بتراث بلاد المغرب نجد المستشرق موتيلنسكي[1]

2. المستشرق البولوني موتيلنسكي (1854-1907):

1.2. ترجمة عن حياته:

دي كالاسنتي موتيلنسكي (A.de.Calassanti Motylinski)، ولد ببولونيا سنة 1854 ولا يعلم عن تفاصيل مسيرة حياته الكثير، غير أنه كان مهتما كثيرا بالدراسات اللغوية، فبالإضافة للغته الأم البولونية، فإنه كان يتقن عدة لغات أخرى منها: العربية، الفرنسية، الإنجليزية، وحتى اللهجات الأمازيغية، ونظرا لحاجة فرنسا المحتلة لمترجمين يساهمون في التواصل مع الشعوب التي احتلتها من جهة، و من جهة أخرى لتمكين بقائها في المناطق التي سيطرت عليها، فإنها استغلت موتيلنسكي ليكون مترجما عسكريا لها، وبعد الاتفاق معه دخل الجزائر، ونزل به المقام كمترجم في مقر الحاكم العسكري بالأغواط، ومنها كان ينطلق في مهمات استكشافية لعادات وتراث الصحراء خاصة قصور سهل وادي ميزاب، ومراكز تجمع الإباضية عموما، وبهذا يعتبر موتيلنسكي أول بولوني يطأ صحراء الجزائر، وبفضل هذا المنصب والمساعدات التي وجدها في الإدارة الفرنسية واللغات التي يتقنها، فإنه اطلع على مخزون وتراث شمال إفريقيا، خاصة في الصحراء الجزائرية، وقد أخذ التراث الإباضي، والمزابي منه على الخصوص القدر الأكبر من اهتماماته[2]

كانت لموتيلنسكي اتصالات مع أعيان الاباضية، وهذه العلاقة مكنته من الاطلاع على كثير من المخطوطات الموجودة في قصور سهل وادي ميزاب والتي سأذكر نماذج عنها في أهم انجازاته، والنشرة التي كتبها عن مخطوطات الإباضية لا تزال مرجعا هاما لدارسي التراث الإباضي[3].

---

[1] للتوسع في المدرسة البولونية وأهم روادها ينظر: نجيب العقيقي، **المستشرقون، موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم**، دار المعارف، القاهرة، 1980م، ج3/ص485 وما بعدها. إبراهيم فخار، "البولونيون وتاريخ المغرب الأوسط"، **الأصالة**، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، العدد 14 و15 ربيع الثاني-جمادى الأولى، جمادى الثانية-رجب 1393هـ/ماي-جوان، جويلية-أوت 1973م، ص45-46.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج1/ ص211.

[3] نفسه، ج1/ ص 211.

2.2. أهداف موتيلنسكي:

كانت لموتيلنسكي أهداف ومساعي جعلته يقبل بمنصب مترجم لفرنسا، خاصة وأن هذا المنصب سيمكنه من إشباع إطلاعه على المخطوطات والتراث الذي يريده من دون دفع تكاليف النقل، والأكثر أن له حماية فرنسية، ومن مساعيه الأولية التي سطرها أثناء تعيينه حسب ما أوردها الدكتور فخار إبراهيم نجد:

- جمع أكبر عدد من المخطوطات المغربية، خاصة التي لها علاقة بالصحراء وبالتجارة مع إفريقيا الغربية والوسطى.
- محاولة التعرف على عادات الشعب وتقاليده، ونمط الأنظمة الاجتماعية التي تسيره.
- تمتين الصلة بينه وبين العلماء والأعيان، وشيوخ القبائل، وقد ساعده الرصيد اللغوي كما عرفنا كثيرا في تحقيق مسعاه.
- تنسيق العلاقة بينه وبين الأب المنصر فوكولد المقيم في الصحراء الجزائرية (الهقار)[1]

حصل موتيلنسكي على مبتغاه من المنصب الذي عمل فيه كمترجم، وكان يرسل كثيرا من أعماله لبولونيا بدلا من تقديمها لفرنسا، وبعد أن قضى مدة طويلة في منصب مترجم عسكري، عين أستاذا للعربية في مدرسة قسنطينة، وبقي في هذا المنصب حتى توفي سنة 1907م.[2]

3.2. إنجازات موتيلنسكي:

لموتيلنسكي مصادر وبحوث كثيرة نوجز منها ما يلي:

- جبل نفوسة، الجزائر 1885، والذي أعاد باسيه (Basset) نشره في باريس عام 1898، وهو وصف اجتماعي وديمغرافي للجبل وسكانه، متبوع بهوامش وتعاليق عن النطق، ومخارج الحروف وغير ذلك، وهو في الواقع منقول من صديق موتيلنسكي إبراهيم أو سليمان الشماخي[3].

---

[1] فخار، المقال السابق، ص 46.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج1/ ص211. فخار، المقال السابق، ص 46.

[3] يمكن الرجوع له: براهيم ؤ سليمان الشماخي، **تغاسرا د تبريدن دي درارن ذئنفوسن، قصور وطرقات جبل نفوسة**، ترجم القسم الفرنسي (الخاص بموتيلنسكي)، أ.عبد الله زارو، أعده للنشر، موحمد ؤمادي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ط1، كاليفورنيا، الو.م.أ، 2003.

- مصنفات ميزاب، وقد جاءت ضمن نشرة المراسلات الأفريقية، الجزائر، ج3/ سنة 1885.[1]
- محاورات ونصوص بربرية من جربة، منشور في المجلة الآسيوية 1898.
- دليل المسافر بين طرابلس وبين مصر (رحلة موتيلنسكي)، الجزائر 1900.
- لهجة بربر رضام، باريس 1904.
- الإباضية، الجزائر 1905.
- المخطوط العربي البربري لزراغة، مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الجزائر 1905.
- حملتي بيدرو النبروي، وجرثيا الطليطلي على جزيرة جربة عام 1510 نقلا عن المصادر العربية 1906.
- رحلات في شمال أفريقيا، ذيل نشرة أفريقيا الفرنسية 1907.
- ترجمة فرنسية لكتاب العقيدة الاباضية، لمؤلفه عمرو بن جميع، سنة 1905.[2]
- دراسة في اللهجة الأمازيغية لواحة غدامس[3]
- تاريخ مدينة القرارة، 1885و هو في الواقع ترجمة لمخطوط السي محمد بن شتيوي بن سليمان، وهو من شرفة القرارة، وقد حصل موتيلنسكي عليه من مسؤول المكتب العربي بغاردية السيد ماسوتي (Massoutier).[1]

Brahim ou Slimane CHemmakhi, **Dgebel Nefousa, relation en tamazirt de Djebel Nefoussa** texte publie par A.de C.MOTYLINSKI? Interprète Militaire au MZAB, Adolphe Jourdan, Alger, 1885.

[1] وسماها المؤرخ عمرو خليفة النامي بمخطوطات ميزاب، والدكتور إبراهيم فخار بمؤلفات الإباضية، وقد علق عليها موتيلنسكي، وأضاف إليها ملاحظاته الشخصية، وما خلص إليه من آراء. ينظر: إبراهيم فخار، مقال سابق، ص46،47. عمرو خليفة (النامي)، "دراسات عن الإباضية"، **مجلة الحياة**، تصدر عن معهد الحياة بالقرارة، نشر جمعية التراث، رمضان 1418هـ/جانفي 1998م، ج1/ص114. عفيفي، مرجع سابق، ج1/ص211.

[2] النامي، المقال السابق، ص 116. فخار، المقال السابق، ص 47.

[3] يمكن الرجوع له: دي كالاسنتي موتيلنسكي، **دراسة في اللهجة الأمازيغية لواحة غدامس، آت غديمس قارون**، ترجمة أ.عبد الله زارو، أعده للنشر، موحمد ؤمادي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ط1، كاليفورنيا، الو.م.أ، 2004.

- تاريخ الأئمة الرستميين بتاهرت لابن الصغير[2]، وهو المصدر الذي اخترته لمقالي هذا بحكم أنه المصدر الوحيد الذي عاصر وعاش في تيهرت أواخر عهد الدولة الرستمية، وإلى جانب مما كتبه المؤرخ الإباضي "لواب ابن سلام اللواتي" الذي كان حيا في القرن 3هـ/9م[3]

ويذكر بأن مرسيل مرسيه قد قال بأن لموتيلنسكي مجموعة من الآثار كانت في جامعة الجزائر سنة 1925 ثم اختفت وظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن تلميذ موتيلنسكي "سموجورزيفسكي"Smogorzewski نفى ذلك وقال أن مجموعة أخرى توجد عند الألماني قتنير وقد تنازل عنها لجامعة لفوف الأوكرانية، وقد ضمت:

- كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ عبد العزيز اليزجني.
- شرح الجهالات (الكتاب لأبي إسماعيل البشير المزاتي وهو في علم الكلام) لأبي عمار عبد الكافي.
- الدليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني.
- كتاب أخبار المرجية في سيرة خير البرية لأبي العباس أحمد الحقاني.[4]

لقد استطاع موتيلنسكي أن يجمع رصيدا مغاربيا من المخطوطات النادرة، وكون بها مكتبة ضخمة في بولونيا خاصة مدينة لفوف (Lwow)، وعلى نهجه سار البولونيان سيغمونت سموجورزيفسكي Smogorzewski (1884-1931)[5] و تاديوس لويكي Tadeusz Lewicki (ت1992)[1] إلا

---

[1] A. de C. Motylinski, Notes historiques sur le MZAB, Guerara depuis sa fondation ،Adolphe Jourdan, Alger, 1885.

[2] العقيقي، المرجع السابق، ج1/ ص211، 212.

[3] هناك دراسة قيمة حول المؤرخ الإباضي لواب ابن سلام يمكن الرجوع لها للأستاذ سليمان بن صديق: **أثر الحركات المذهبية في الكتابة التاريخية ببلاد المغرب في القرنين 3 و4هـ/ 9 و10م**، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم بحاز، شعبة التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، موسم 2015/2014م، ص36-53.

[4] قول مرسيل مرسيه وسموجورزيفسكي نقلا عن الدكتور فخار، مقال سابق، ص 47.

[5] **سيغمونت سموجورزيفسكي**: تخرج من جامعة بطرسبورج، دخل الجزائر تقريبا سنة 1913، اهتم كثيرا بالتاريخ الإباضي، وواصل مسيرة موتيلنسكي، سافر إلى عدة دول عربية كمصر وسوريا ولبنان، وباقي مناطق شمال إفريقيا، وكانت له علاقة وثيقة بزعماء الإباضية، خاصة وأنه درس عقيدتهم

أن كثيرا من هذه المخطوطات سرقت وضاعت بسبب الحرب الحرب العالمية الثانية (1939-1945) التي كانت بولونيا أحد جهاتها، وعندما اجتاحتها القوات الألمانية والسوفياتية في سبتمبر 1939، ونقلت كثير من المخطوطات إلى جامعة كراكوفيا[2] وحاليا مدينة لفوف أصبحت تابعة لأكرانيا.

3. ترجمة ابن الصغير ومميزات عصره:

ابن الصغير من الشخصيات التي ظلت مجهولة ولم يعرف عن حياته إلا ما ورد من إشارات في كتابه "أخبار الأئمة الرستميين" ومن ذلك يذكر: "ولقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته وحضرت مجلسه"[3] أي قد لحق بتيهرت[4] أيام "أبي اليقظان محمد بن أفلح"(261-281هـ)، وهذا يدل على أنه

ومذهبهم، وقد اقتنى لبولونيا عدة مخطوطات نفيسة، أخذ معه معيدا عربيا من تونس ليدرس في جامعة لفوف البولونية حتى يؤسس بها معهدا خاصا بالدراسات الإستشراقية، من أهم آثاره: قصيدة إباضية عن الخلاف بين المالكية الإباضية، مصاو إباصية لتاريخ الإسلام، ينظر: العقيقي، مرجع سابق، ج500/3.

[1] **تاديوس لويكي**: تخرج من معهد فقه اللغات الشرقية بجامعة كراكوفيا، ثم واصل دراسته في شمال إفريقيا وباريس، اهتم كثيرا بالتاريخ الإباضي، عين مديرا للقسم الشرقي بجامعة كراكوفيا، ورئيسا للدراسات العربية فيها، ومديرا للجنة المستشرقين المتفرعة من مجمع العلوم البولوني، من آثاره: كتاب السير للشماخي، نبذة عن تاريخ الإباضية للراغني، المؤرخون الإباضيون في شمال أفريقية وغيرهم. العقيقي، مرجع سابق، ج505/3-508.

[2] في مقابلة خاصة مع **أ.الحاج سعيد محمد** (باحث ورئيس جمعية الشيخ أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث الكائن مقرها في قصر غارداية) بمقر جمعية أبي إسحاق، يوم الأحد 06جوان16/2010 جمادى الثانية 1431هـ وعلى الساعة 09:00صباحا أخبرني أنه زار بولونيا مع مجموعة من الباحثين، وزاروا مدينة لفوف التابعة لأكرانيا حاليا وأخبرني بمصير كثير من المخطوطات الإباضية التي ضاعت وسرقت من طرف الروس والألمان والأوكرانيين، وقد التقى الأستاذ مع المستشرق لويكي وهو الذي أخبرني أنه توفي 1992

[3] ابن الصغير، **أخبار الأيمة الرستميين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، مطبوعات الجميلة، غرداية، الجزائر، 1414هـ/1986م، ص80.

[4] **تيهرت:** ذكرها ياقوت الحموي بـ "تاهرت" بفتح الهاء، وسكون الراء، اسم لمدينتين متقابلتين، يقال لإحداهما تاهرت القديمة، والأخرى الجديدة، وكانت تسمى عراق المغرب. وذكر الدكتور بحاز بأنها تكتب بالياء تيهرت" وليس بألف المد "تاهرت" وأورد المصادر التي تؤكد ذلك. ومعناها بالبربرية المحطة أو إقامة. للتوسع، ينظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397هـ/ 1977م، ج2/ ص

ليس من تيهرت وإنما سكنها مع غيره من الكوفيين والبصريين، وقد رجح الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" ولادته فيما بين (260-270هـ)[1] أما "وداد القاضي" فقدرتها فيما بين (265-270هـ/878-883م) لأن وفاة أبي اليقظان كانت في عام 281هـ وقد قال ابن الصغير بإنه كان صغيرا خلالها[2]، وأضافت وداد القاضي أن ابن الصغير كان يجهل تاريخ المشرق كأسماء الخلفاء العباسيين، ورجحت أن يكون مغربيا من تيهرت، وأوردت ما جاء في كتابه بأنه يجهل مدينة تلمسان[3] حين ذكر "إلى مدينة يقال لها تلمسان"[4] أما محققا كتاب ابن الصغير (إبراهيم بحاز ومحمد ناصر) فقد ذكرا بأنه ليس من تيهرت بدليل عبارة وردت في كتابه تقول:"ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم"[5] وهي تدل على أنه ليس منهم[6]

نشأ ابن الصغير في تيهرت وعمل فيها بالتجارة إذ كان له دكان يبيع فيه ويشتري بحي الرهادنة قال:"ولي في الرهادنة دكانا أبيع فيه وأشتري"[7] إلا أنه لم يحدد لنا نوع تجارته، وكان شغوفا بطلب العلم، وقد ذكر بعضا من العلماء والمشايخ الذين أخذ عنهم العلم"كأبي عبيدة الأعرج"[8] وهو من علماء

7-9. إبراهيم (بحاز)، **الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**، المطبعة العربية،ط2، غرداية، الجزائر، 1414هـ/1993م، ص90.

[1] ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1999، ص13.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 38.

[3] وداد القاضي، **ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية**، مجلة الأصالة، العدد 45، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1975، ص38.

[4] وداد القاضي، المقال السابق، ص 39.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31.

[6] نفسه، مقدمة التحقيق، ص 11.

[7] نفسه، ص 84.

[8] **أبو عبيدة الأعرج**: عاش زمن إمامة أبي اليقضان، كان شيخا عالما بالفقه والكلام واللغة والنحو والوثائق، ورعا زاهدا، وقد درس الحديث في منزله، وأقر له بالفضل الكل، حتى أن إباضية سجلماسة يبعثون زكاتهم إليه ليصرفها حيث شاء، لهذا كان أبو اليقضان يقف له، ويجلسه بجانبه في المجالس تقديرا وإكراما. محمد بن موسى بابا عمي، إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم أعلام الاباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر -قسم المغرب-**، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2009م، ج2/285-286.

الإباضية في تيهرت، وقد سمع عنه كتاب "إصلاح الغلط" الذي ألفه "ابن قتيبة"[1] أي ابن قتيبة الدينوري (ت270هـ) له كتاب "إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث". كما درس كتاب الإمام "عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم" المسمى "مسائل نفوسة الجبل"[2]

وتذكر بعض المصادر أن ابن الصغير قد اشتغل نساخا وبائعا للكتب بالدكان المذكور، وهذا ما ساعده في توسيع مداركه اللغوية والفقهية حتى عد من المشايخ الكبار[3] وذكر الدكتور فخار بأن ابن الصغير كان وراقا[4]

ولقد اختلف الدارسون لابن الصغير في فهم مدلول كلامه ليعرفوا مذهبه الديني، إلا أن غالبيتهم أجمعوا على عدم إباضيته، فمنهم من اعتبره مالكيا وهذا هو الغالب، كالباروني الإباضي، في قوله "ابن الصغير العلامة الخطير المالكي الشهير"[5] والدكتور لقبال[6] والدكتور إسماعيل محمود[7] ودليلهم في ذلك قول أحد المناظرين لابن الصغير "من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والعراق"[8] أي المالكية والأحناف، في حين ترى الدكتورة وداد القاضي أنه سني دون ترجيح مذهب بعينه، وقد بحثت في كتب طبقات المالكية ولم تجده[9] أما محققا الكتاب فقد ذكرا أنه مالكي أو شيعي، ورجحا الرأي الثاني ودليلهم أنه لطالما أظهر ميوله العلوية في كتابه، منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم"من كنت مولاه فعلي مولاه"، وأيضا لما قيل له:"زعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين والكوفيين" والكوفة في العراق كانت تعج بالمذاهب ومنها الشيعية، كما كان يكثر من خطب أمير المؤمنين

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 84.

[2] نفسه، ص 39.

[3] سعيدوني، المرجع السابق، ص 13.

[4] كلام الدكتور إبراهيم فخار نقلا عن جودت عبد الكريم يوسف، **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 07

[5] سليمان بن عبد الله (الباروني)، **الأزهار الرياضية في أيمة وملوك الإباضية**، القسم الثاني، دار البعث، ط3، 1423هـ/2002م، 48.

[6] موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص25.

[7] إسماعيل محمود، **الخوارج في المغرب الإسلامي**، دار العودة، بيروت، لبنان، ومكتبة مدبولي، القاهرة، مصر 1976م، ص08.

[8] ابن الصغير، المصدر السابق، 102-103.

[9] وداد القاضي، المقال السابق، ص 38.

علي بن أبي طالب[1] ونفس الرأي ذهب إليه المستشرق "تاديوس ليفتسكي Tadeusz lewiski" حين ذكر "و أنه ليس إباضيا وكان هو نفسه شيعيا، وتظهر ميوله العلوية في أكثر من مقطع من كتابه أخبار الأيمة"[2] وقد ردت الدكتورة وداد القاضي على هذا القول، خاصة وأن أهل السنة يعتدون بالحديث الذي ذكره بأنه حديث صحيح رواه الترمذي وأحمد بن حنبل، وابن ماجة[3]، وهو حديث"من كنت مولاه فعلي مولاه" وسبق وأن ذكرنا بأن محققا الكتاب قد استدلا به على ميوله الشيعية العلوية، وقالا عن الحديث بأن الشيخ ناصر الدين الألباني قد ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ثم يذكران بأن الحديث لا يزال محلا للنقاش بين العلماء"[4]

أما الدكتور سعد زغلول فيذكر عنه إسماعيل محمود بأنه أدرج ابن الصغير خطأ ضمن المؤرخين الإباضيين في كتابه تاريخ المغرب[5]

واعتبر الباروني ابن الصغير من المالكية "ابن الصغير مؤرخ مالكي خطير"[6] وقد رأى الأستاذ جودت عبد الكريم أن ابن الصغير قد يكون شافعيا أو حنبليا، كون أنه كان على علاقة وطيدة "بأحمد بن بشير" الذي كان يعتمد على أحكام الشافعية في فتواه[7]

اشتهر ابن الصغير بثقافته العربية الإسلامية الواسعة، ولقد لقي المكانة في تيهرت، ومن مشايخها الإباضية، فقد ناظر المعتزلة والإباضية على السواء، ولقد ورد في كتابه أنه ناظر رجلا من وجهاء الإباضية كان من قبيلة هوارة يسمى سليمان ويكنى "أبا الربيع" في مسألة خيار البنت الصغيرة في الزواج[8] وأظهر في مناظراته باعا في العلم والمجادلة، وذكرت الدكتورة وداد القاضي أن ابن الصغير كان قد سجل ما دار بينه وبين غير واحد من العلماء، ثم تساءلت هل يعني ذلك أنه قد جمع ذلك في كتاب؟ وإن كان كذلك فإنه لم يصلنا، ولم يعرف له كتاب غير كتاب أخبار الأيمة[9]

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص 12-13.

[2] تاديوس (ليفتسكي)، **المؤرخون الإباضية في إفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2000، ص149.

[3] وداد القاضي، المقال السابق، ص 55.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، مقدمة التحقيق ص 12.

[5] إسماعيل محمود، المرجع السابق، ص 08.

[6] الباروني، المرجع السابق، ص 48.

[7] جودت، المرجع السابق، ص 08.

[8] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 102-103.

[9] وداد القاضي، المقال السابق، ص 40.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن ابن الصغير قد نشأ وترعرع في مدينة تيهرت، وكان يجهل المدن المغربية القريبة منه كمدينة تلمسان، أما المشرق فمن باب أولى بل كان لا يعرف حتى أسماء خلفاء الدولة العباسية، وعليه فالمطلع والدارس لكتابه يجد أن ابن الصغير قد أرخ لعاصمة الدولة الرستمية دون أقاليم وحدود الدولة الأخرى.

4. التعريف بكتاب ابن الصغير وأهم ما تضمنه:

يعتبر مخطوط ابن الصغير من أهم المصادر التي أرخت لعاصمة الدولة الرستمية، خاصة وأنه عاصر أواخر عهدها ونقل لنا الفترة التي سبقته بالمشافهة، وقد تضمن كتابه تفاصيل هامة عن الفتن والأحوال السياسية المضطربة في تيهرت، خاصة تلك التي سكتت عنها المصادر والأقلام الإباضية كما سأذكر فيما بعد، ولم يهتم ابن الصغير بالوضع الخارجي لتيهرت إلا في إشارات نادرة منها ما قوله: "وكان وفد على ملك السودان"، ويقصد محمد بن عرفة، أو ما جاء في سجن أفلح بن عبد الوهاب من طرف العباسيين في المشرق أثناء أدائه فريضة الحج[1]

وللعلم فإن المخطوط الأصلي لابن الصغير لم يعثر عليه، وإنما وصلنا مضمونه عبر المراحل التالية:

أ- سنة 1885: نشر المستشرق البولوني موتيلنسكي Motylinski ملخصا عن الكتاب باللغة الفرنسية في كتاب بعنوان: Bibliographie du Mzab [2].

ب- سنة 1905: تم نشر الكتاب كاملا مع ترجمة فرنسية تحت اسم "ذكر بعض الأخبار في الأيمة الرستميين، منقول من ابن الصغير" وهذا ضمن أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر والذي أنعقد في الجزائر[3]. وبقي ذلك العمل رغم علته مصدرا أساسيا للباحثين في تاريخ الدولة الرستمية، وله أسماء أخرى منها "تاريخ ابن الصغير"، "سيرة ابن الصغير" وغير ذلك.

ذكرت الدكتورة وداد أن موتلنسكي وليفيتسكي قد قاما بعمل بعض الملاحظات عليه، ومقالة ليفتسكي في الموسوعة الإسلامية هي جزء من الملاحظات التي ذكرتها[4].

ج- سنة 1975: طبع نفس النص العربي في "مجلة العلوم الإنسانية لكلية الأدب بتونس" وهي المجلة المعروفة بـ"كراسات تونس Les cahiers de Tunis"

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 62.

[2] وداد القاضي، المقال السابق، ص 38. سعيدوني، المرجع السابق، ص 39.

[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص 07. سعيدوني، المرجع السابق، ص 15. وداد القاضي، المقال السابق، ص 08.

[4] القاضي، المقال السابق، ص38.

ذكر محققا الكتاب "محمد ناصر وإبراهيم بحاز" أن نسخة من المخطوط كانت موجودة في إحدى مكتبات وادي ميزاب أوائل هذا القرن اعتمادا على ما ذكره "موتيلنسكي" وقال الأخير بأنه لا توجد نسخة أخرى في مكان آخر[1]

وقد تم تحقيق الكتاب دون الرجوع إلى المخطوط الأصلي (أي الاعتماد على ما نشره موتلنسكي) كلا من:

- الباحث المصري، حسن علي حسن[2]

- الأستاذان: محمد ناصر، إبراهيم بحاز من الجزائر، مع وضع مقدمة وعناوين فرعية للكتاب، وبفهارس وملاحق وقد اعتمدت في مقالي على التحقيق الأخير.

اختلف الباحثون في تاريخ تأليف ابن الصغير لكتابه، ويرجح أنه كتبه في فترة حكم "أبي حاتم بن أبي اليقظان (281-294هـ)، حيث يرى ليفتسكي تاريخ 290هـ/903م[3] أما وداد القاضي فقد رجحت كتابته بعد سقوط الدولة الرستمية (296هـ على يد أبي عبد الله الشيعي) واستنتجت ذلك من قول ابن الصغير في يعقوب بن أفلح (281-284هـ) "و كان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله قبله ولا بعده به يضرب المثل إلى اليوم"[4]. فكلمة إلى اليوم تدل على فترة زمنية ليست بالقصيرة، وكذا لأن ابن الصغير قد أرخ للدولة حتى بعد سقوطها وأن جزء كبيرا من كتابه قد فقد[5] ، لهذا موتلنسكي اختار عنوان "ذكر بعض الأخبار في الأيمة الرستميين منقول من ابن الصغير، أما موتلنسكي ناشر الكتاب فقد ذكر بأن الكتاب ألف حوالي 290هـ[6]

وقد كانت لابن الصغير دوافع جعلته يهتم بأخبار تيهرت منها:

- سكناه في تيهرت التي سهلت له الإطلاع على أحوال الأسرة والدولة الرستمية.

- ممارسته للتجارة في دكانه بحي الرهادنة جعلته يحتك بالإباضية في تيهرت.

- الاعتزاز بانتمائه لتيهرت المدينة، لهذا ركز على وصف شامل لها ولم يركز على التعريف بالمذهب الإباضي مثلا.

---

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص07.

[2] سعيدوني، المرجع السابق، ص16.

[3] ابن الصغير، مصدر سابق، ص 18. ليفتسكي، مرجع سابق، ص149.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص98

[5] القاضي، المرجع السابق، ص40، 41.

[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص14.

- مناظرته لعلماء الإباضية والمعتزلة أكسبته مكانة بين مشايخ وعلماء تيهرت[1]
- مهنته كما ذكر الدكتور سعيدوني فيما سبق كنساخ وبائع للكتب جعلته يطلع على بعض المعلومات عن تيهرت والدولة الرستمية والمذهب الإباضي.

وقد تضمن كتاب ابن الصغير ذكرا متسلسلا لأيمة الدولة الرستمية، ويمكن اختصار أهم ما تضمنه فيما يلي:

- **ولاية عبد الرحمن بن رستم:** وفيه بدأ بنزول الإباضية في موضع تيهرت، ثم تشاورهم فيمن يعينوه إماما لهم، واختير عبد الرحمن بن رستم لأن أبا الخطاب قد رضيه قبل وفاته قاضيا، ثم تحدث عن المعونة التي وصلت إلى عبد الرحمن من إباضية المشرق وذلك لسلوكه الحسن وحسن سيرته، وبدوره قسمها إلى ثلاث (شراء الخيل، السلاح، وثلث للفقراء) لتعرف تيهرت في عهده الرخاء، وهاجر إليها الكوفيون والبصريون، ثم ذكر المعونة الثانية التي وصلته من المشرق إلا أنه رفضها كون تيهرت قد أصبحت أكثر ثراء، ثم ذكر الوضع الاقتصادي والإداري لتيهرت في عهده، ثم وفاته[2]
- **ولاية عبد الوهاب وما كان من أمره:** ذكر بأن الإمامة عقدت له من طرف الإباضية، لكن لم يرض بها آخرون، فأصبح في الإباضية الوهبية (أتباع عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم)، واليزيدية (أتباع يزيد بن فندين وهم النكارية)، والعمرية (أتباع عيسى بن عمر)، وأرجع سبب افتراق النكارية إلى أن القبائل من سدراتة ومزاتة اختلفوا مع عبد الوهاب في تعيين الولاة، وغير ذلك، كما عرفت الدولة في عهده الرخاء، ولما وافته المنية خلفه ابنه أفلح[3].
- **ولاية أفلح بن عبد الوهاب:** عرفت فترة حكمه الازدهار وأحسن اختيار ولاته الذين كانوا من ذوي الصلاح منهم "محكم الهواري"، وسعى للتفريق بين القبائل ليستتب له الأمن، ثم ذكر سفر أبي اليقظان محمد بن أفلح للحج وإلقاء العباسيين القبض عليه وكان في السجن معه أخو الخليفة العباسي (ربما هو أحمد المعتمد على الله الذي سجن في عهد الخليفة محمد المهتدي بالله ولما توفي سنة 256هـ أخرج من السجن وبويع بالخلافة وأطلق سراح أبي اليقظان وهو الذي صحبه في السجن)[4]، ولم يخرج من السجن إلا بعد وفاة الخليفة وتولى

---

[1] نفسه ، ص13، 18. القاضي، المقال السابق، ص48.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق، ص25-36

[3] نفسه ، ص37-48.

[4] ينظر في بعض التفاصيل عند: لجلال الدين (السيوطي)، **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون سنة الطبع، ص289-295.

أخيه السجين الحكم، وفي هذه الظروف توفي الإمام أفلح ولم يجد الإباضية ابنه أبا اليقظان الذي كان غائبا فعينوا أخاه أبا بكر(258-261هـ)[1].

- **ولاية أبي بكر بن أفلح ومقتل ابن عرفة:** كان ميالا للشعر والأدب وأخبار الماضين منه إلى الدين كسابقيه، ثم ذكر علاقة أبي بكر بابن عرفة (ابن عرفة محمد الذي كان من المقدمين في البلاط الرستمي وكان جميل الوجه) والتي انتهت بعلاقة مصاهرة وأصبح الحكم الحقيقي لابن عرفة والاسمي لأبي بكر، وبعد عودة أبي اليقظان انضم لأخيه أبي بكر ثم حرضه على قتل ابن عرفة، ولما تم ذلك ذكر فتنة العجم وكيف خرج أبو بكر مهزوما من تيهرت ثم بايع النفوسيون أبا اليقظان بالإمامة[2] إلا أن ابن الصغير يشك أن يكون أبو اليقضان هو من حرض أخاه على القتل[3]
- **دخول أبي اليقظان تيهرت وسيرته بها:** وقد ذكر أهم أعماله من تعيين للولاة، ونوه للحياة الفكرية في عهده، وذكر بعض العلماء منهم محمود بن بكر الذي كان يتبرأ من علي بن أبي طالب، ثم ذكر المناظرات التي كانت بين الإباضية والمعتزلة، وهنا ذكر العالم الإباضي أبا عبيدة الأعرج الذي أخذ عنه ابن الصغير العلم كما ذكرت سابقا، وذكر وفاة أبي اليقظان سنة 281هـ، وهو التاريخ الوحيد تقريبا الذي ذكره في كتابه، وكان له من الأبناء يوسف (أبو حاتم)، أبو خالد، عبد الوهاب، وقد قدم العوام وأهل الحرف أبا حاتم دون استشارة القبائل وقال بأن أمه كانت تتدخل في الحكم[4]
- **ولاية أبي حاتم (بن أبي اليقظان) وأيامه:** كان أثناء وفاة والده في مهمة خارج تيهرت، ولما علم بالوفاة وأن البيعة قد عقدت له دخل تيهرت، وقد وقعت في عهده فتنة محمد بن رباح ومحمد بن حماد، وأثناء هذه الفتنة خرج أبو حاتم من تيهرت وعين عمه يعقوب بن أفلح مكانه[5]

[1] نفسه ، ص 49-59.

[2] نفسه ، ص61-76.

[3] نفسه ، ص65.

[4] نفسه ، ص77-89.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص91-96.

- **ولاية يعقوب بن أفلح:** كان يعقوب(282-284هـ) ورعا، وقد عقدت هدنة بينه وبين أبي حاتم الذي رجع للحكم في تيهرت[1]
- **دخول أبي حاتم تيهرت وسيرته فيها:** ذكر ابن الصغير بأن أبا حاتم لما دخل تيهرت كان قد غير في سياسته مستفيدا من أخطائه السابقة، والتي منها العصبية، فاستشار مشايخ البلد من الإباضية وغيرهم في تعيين الولاة، لتعرف تيهرت في عهده الاستقرار والازدهار الفكري، كما ذكر المناظرات التي عرفت في عهده منها مناظرته هو (ابن الصغير) مع أحد مشايخ الإباضية، يسمى سليمان ويكنى أبا الربيع، وختم كتابه بخطبة كاملة لأحمد بن منصور الإباضي، وسماها خطبة التحكيم[2].

5. مختصر منهج ومصادر ابن الصغير وأقوال المؤرخين والباحثين فيه:

يعتبر ابن الصغير من المؤرخين أو الكتاب الموضوعيين في التدوين، حيث في الوقت الذي كشف لنا فيه عن وضع تيهرت خلال الحكم الرستمي من فتن وخلافات سياسية ومناظرات مذهبية وفقهية، نجده يشيد ببعض الأيمة وعدلهم مع رعيتهم، وقد أوضح لنا منهجه في الكتابة أثناء ذكره لسيرة الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث قال ما نصه:"و كانت له قصص حكوها لا يمكن ذكرها إلا على وجه، وأن أتم الصدق فيها ولا أحرفها على معانيها ولا أزيد فيها ولا أنقص منها، إذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروؤات ولا من أخلاق ذوي الديانات، وإن كنا للقوم مبغضين، ولسيرهم كارهين، ولمذهبهم مستقلين، فنحن وإن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا، وعدلهم فيما ولوه، فلسنا ممن تعجبه طلاوة أفعالهم، ولا حسن سيرهم لما نعلمه من براءتهم ممن والاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه"[3].

وقد جسد ابن الصغير ما ذكره في كتابه حيت كان يذكر الأيمة الرستميين بما سمعه عنهم أو شاهده متقصيا الصواب ما استطاع، خاصة وأنه أثنى على جل أيمتهم رغم عدم الانتساب لهم، لهذا ذكر الأستاذ بحاز بأن ابن الصغير تنطبق عليه صفات المؤرخ التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته حيث كان يكتب بأمانة تامة ويحركه في ذلك العامل الأخلاقي[4].

---

[1] نفسه ، ص97-100.

[2] نفسه ، ص101-110.

[3] نفسه ، ص27، 28.

[4] بحاز، ناصر، ابن الصغير، ص371.

وقد عاب الأستاذ مبارك الميلي العامية التي استعملها ابن الصغير لكنه اعترف بأنه المادة الوحيدة لهذه الدولة[1] ونفس النظرة في مسألة العامية ذهب إليها إسماعيل محمود، إلا أنه أوضح عدم طغيانها على كل الكتاب[2]

وقد اعتبر ليفتسكي كتاب ابن الصغير ذا تاريخ قصصي أكثر منه في التاريخ السياسي[3] ونفس النظرة أشارت لها الدكتورة وداد القاضي إلا أنها اعتبرتها الطريقة المصورة والموحية للحياة في الدولة، وأن الأمانة التي تميز بها لم تمنعه من ممارسة حسه النقدي للروايات بصفته مؤرخا، فقد كان مثلا يتحرج من المواضيع الصعبة، وأورد عبارات منها "فالله أعلم أي ذلك كان"[4] كما كان يستقصي الأحداث التي يسمعها والتي منها "فإني لا أحسب نفسي تطوع في ذلك ولا سيما أخته تحتي وأختي تحته(حتى أنا شككت في البنت أو الأخت)..."[5].

ومما سبق فإن ابن الصغير قد اعتمد في معلوماته على:

1.5. الرواية الشفوية:

وقد اعتمدها تقريبا في الفترة التي سبقت حكم أبي اليقظان وسيطرت على جل أخبار الكتاب رغم عدم ذكره لرواته بالاسم إلا شخصية أحمد بن بشير الذي كان من خاصة الإمام أبي اليقظان[6] والبقية هم ممن كان ابن الصغير يثق بهم سواء كانوا إباضية أو من غيرهم، ومن هذه العبارات نجد "أخبرني بعض المشايخ"، و"حدثني غير واحد" و"أخبرني جماعة من الإباضية"[7]

2.5. المشاهدة والمعاينة:

وهي الفترة التي عاشها في أواخر فترة حكم أبي اليقظان وما بعدها، منها قوله "و من أتى إلى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه...وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك"[8].

---

[1] أشاد الميلي بابن الصغير لكن لم يمنعه ذلك من نقده ذاك في كتابه: محمد مبارك (الميلي)، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، دون سنة الطبع، ص69.

[2] إسماعيل، المرجع السابق، ص149.

[3] ليفتسكي، المرجع السابق، ص149.

[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص65. القاضي، المقال السابق، ص44.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص66. القاضي، المقال السابق، ص45.

[6] بحاز، المرجع السابق، ص39.

[7] ابن الصغير، المصدر السابق، ص54، 61، 73 وصفحات أخرى.

[8] ابن الصغير، المصدر السابق، ص102.

أشاد الكثير بقيمة كتاب ابن الصغير فمن الإباضية نجد الدكتور بحاز الذي كتب عنه "وتاريخ ابن الصغير كتاب قيم فيه إشارات رغم اختصارها تدل على أمور عديدة لمن يريد استنطاقها..إذ تناول الفتن التي تعاقبت على تيهرت، واختصر الحديث عن كل إمام، وأشار إلى جوانب ثقافية هامة كذكر بعض الأسماء التي أهملتهم كتب السير والطبقات الإباضية"[1] وأضاف الباروني بأن ابن الصغير مؤرخ مالكي خطير شهير إذ بحث في أحوال تيهرت عن النقير والقطمير[2].

أما الأستاذ محمود إسماعيل فقد قال:"الكتاب كشف لنا عن كثير من أسرار عصره ومما تغاضى عنه مؤرخو الإباضية"[3] ويقصد الفتن التي مرت بها تيهرت.

أما المستشرق تاديوس ليفتسكي فقد اعتبر كتاب ابن الصغير ذا أهمية ومقدرة من قبل المؤرخين الإباضيين في المغرب، وقام اثنان منهما وهما أبو الفضل أبو القاسم البرادي، وأبو العباس الشماخي بنتف مقاطع كثيرة منه[4]

أما ناشر الكتاب موتلنسكي فيذكر أن ابن الصغير قد وصف مدينة تيهرت ونزاعاتها الداخلية والخارجية، هذه النزاعات أدت لحروب طويلة بين الإخوة، كما عرفنا بأحداث وأخبار مر عليها المؤرخون الإباضيون مرور الكرام أو أنهم أغفلوها محافظة على دور الزعامة الدينية تنزيها وحرصا على عدم الإضرار بسمعة المذهب[5].

ومما لا حظ ويؤخذ على ابن الصغير في كتابه ما يلي:

- لم يعرف ابن الصغير بنفسه كما هي عادة المؤرخين في العصر الإسلامي، وقد يعود ذلك للنقص الذي لم يصل إلينا من الكتاب.
- خلوه من التواريخ للفترة التي أرخ لها إلا تاريخ وفاة أبي اليقظان سنة 281هـ
- إشارته السطحية للجانب الاقتصادي والاجتماعي.
- تركيزه في الكتاب على مدينة تيهرت دون غيرها لهذا بقي وضع المحيط الخارجي مجهولا لدينا.
- استخدام بعض الألفاظ العامية، بل وغير الواضحة مثل الخادم الصفراء، هملاجة، أهل الحواجز، موضع أسكدال[6] وغير ذلك

---

[1] بحاز، المرجع السابق، ص39.

[2] الباروني، المرجع السابق، ص 48.

[3] إسماعيل، المرجع السابق، ص 09.

[4] ليفتسكي، المقال السابق، ص49.

[5] ابن الصغير، المصدر السابق، ص19.

[6] ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص51، 54، 73.

- **الخاتمة:**

وفي الأخير أصل إلى أن المدرسة الإستشراقية البولونية واحدة من المدارس التي استطاعت أن تفرض نفسها في حقل تاريخ المغرب الإسلامي عموما والاباضي منها على الخصوص، وأن المستشرق موتيلنسكي باعتباره علم من أعلام المدرسة قد أسدى لتاريخ الدولة الرستمية خدمة كبيرة عندما نقل بعضا مما جاء في مخطوط "أخبار الأيمة الرستميين" لابن الصغير المالكي، والأخير يعد المصدر الوحيد الذي قدم تفاصيل عن أوضاع تيهرت في العهد الرستمي خاصة ما سكتت عنه الأقلام الإباضية بعده، بل والوحيد -لحد ما توصلت إليه وتوصل إليه كثير من الباحثين- الذي عاش في هذه المدينة وقابل بعضا من قادتها وكتب عنها ، وقد أشادت به أقلام الباحثين على اختلاف توجهاتهم سواء الإباضية منها أو السنية، ويبقى مجال البحث متواصلا لمعرفة مكان المخطوط الأصلي لابن الصغير -رغم وجود نسخ عنه في خزائن وادي ميزاب- وعن أهم المعلومات التي قدمها عن أول كيان سياسي في المغرب الأوسط مستقل عن الخلافة العباسية، والحقيقة أن موتيلنسكي كمستشرق بولوني، وابن الصغير باعتباره مؤرخ الدولة الرستمية، فإن ما كتب عنهما غير كاف، ويبقى مجال البحث للتعرف على موتيلنسكي وباقي رواد المدرسة البولونية التي اهتمت بتاريخ المغرب الإسلامي خصبا للبحث إذا ما قورن مع غيره من باقي مدارس الاستشراق الأخرى، وضروري الاعتماد على النسخ التي وجدت لكتاب آخبار الايمة وما كتبه موتيلنسكي ليصدر المخطوط في إصدار جديد أكثر دقة، خاصة وأن عصر المعلوماتية قرب الكثير من المعارف، واختصر الكثير من الزمن، والعودة ايضا للمصادر الاباضية التي جاءت بعد ابن صغير بقرون لمراجعة ما نقلته عنه رغم قلة ذلك حسب ما توصلت إليه.